انه قد كان في الجنة شجرة يقال لها طوبى يقول الله تعالى لها تفتقي لعبدي عما يشاء
فتنفتق له عن فرس مسرجة بلجامها وهيئتها كما يشاء وتنفتق له عن راحلة
برحلها وزمامها وهيئتها كما يشاء وقيل طوبى فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمة
ما قبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك اصبت خيرا وطيبا كذلك
اي مثل ارسال الرسل الذي قدمنا الاشارة اليهم في اخر يوسف وفي غيرها
ارسلناك في امة اي جماعة كثيرة قد خلت من قبلها امم اي تقدمتها لتتلو
طال اذاهم لانبيايهم ومن امن بهم واستهزاوهم به في عدم الاجابة حتى كانهم تواصوا
بهذا القول فليس ببدع ارسالك اليها عليهم اي لتقرا الذي اوحينا اي على امتك
من القران وشرايع الدين وهم اي والحال انهم يكفرون وهم يكفرون بالرحمن
بالرحمن اي بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شي وقال قتادة هذه الاية
مدنية نزلت في صلح الحديبية وذلك ان سهل بن عمرو لما جا للصلح واتفقوا على
ان يكتبوا كتاب الصلح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي اكتب
بسم الله الرحمن الرحيم فقال لا نعرف الرحمن الا صاحب اليمامة يعني مسيلمة
الكذاب اكتب كما كنت تكتب باسمك اللهم فهذا معنى قوله وهم يكفرون بالرحمن
اي انهم يكفرون ويجحدونه قال البغوي والمعروف ان الاية مكية وسبب نزولها
ان ابا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الحجر يدعو يا الله يا رحمن فرجع الى المشركين
فقال ان محمدا يدعو الله ويدعو الها اخر يسمى الرحمن ولا نعرف الرحمن الا رحمن
اليمامة فنزلت هذه الاية ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما
تدعوا فله الاسما الحسنى وروى الضحاك عن ابن عباس انها نزلت في كفار قريش
حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قال الله
تعالى قل لهم يا محمد ان الرحمن الذي انكرتم معرفته ربي لا اله الا هو عليه توكلت
اي اعتمدت عليه في اموري كلها واليه متاب اي مرجعي ومرجعكم وروى ان اهل مكة قعدوا
في فنا الكعبة فاتاهم النبي صلى الله عليه وسلم واعرض عليهم الاسلام فقال له عبد الله
ابن امية المخزومي سير لنا جبال مكة حتى ينفسح المكان علينا واجعل لنا فيها
انهارا نزرع فيها واحيي لنا بعض اموتانا لنسالهم احق ما تقول ام باطل فقد كان
عيسى يحيي الموتى وسخر لنا الريح حتى نركبها الى البلاد فقد كانت الريح مسخرة
لسليمان فلست باهون على ربك من سليمان فنزل قوله تعالى ولو ان قرانا
سيرت به الجبال اي نقلت عن اماكنها او قطعت اي شققت به الارض
من خشية الله تعالى عند قراته فجعلت انهارا وعيونا او كلم به الموتى اي بان
يحيو وجواب لو محذوف اي لكان هذا القران لانه في غاية ما يكون من الصحة
واكتفى بمعرفة السامعين مراده وهذا معنى قول قتادة قال لو فعل هذا بقران
قبل قرانكم لفعل بقرانكم وقيل تقديره لما امنوا ونقل عن الفراء ان جواب لو هي الجملة
من قوله وهم يكفرون في الكلام تقديم وتاخير وما بينهما اعتراض وتقدير الكلام

وهم يكفرون بالرحمن لو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى لكفروا به
بالرحمن ولم يومنوا لما سبق من علمنا فيهم فان قيل لم حذفت التا في قوله تعالى او كلم به
الموتى وثبتت في الفعلين قبله اجيب بانه من باب التغليب لان الموتى يشمل المذكر
والمونث بل لله الامر اي القدرة على كل شي جميعا وهذا اضراب عما تضمنته
لو من معنى النفي اي بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الايات لكن الارادة لم تتعلق
بذلك لعلمه تعالى لا يلين قلوبهم ويويد ذلك قوله تعالى افلم ييأس الذين امنوا عن ايمانهم
مع ما راوا من احوالهم وذهب اكثرهم الى ان معناه افلم يعلم الذين امنوا ان اي بانه
لو يشا الله اي الذي له صفات الكمال لهدى الناس جميعا الى الايمان من غير اية
ولكنه تعالى لم يشا هداية جميع الخلايق ولا يزال الذين كفروا اي جميع الكفار
تصيبهم بما اي بسبب ما صنعوا قارعة اي نازلة وداهية تقرعهم بانواع البلا
تارة بالجدب وتارة بالسلب وتارة بالقتل وتارة بالاسر وغير ذلك واختلف في
الكفار على قولين قيل اراد به جميع الكفار لان الوقايع الشديدة التي وقعت لبعض
الكفار من ذلك اوجبت حصول الغم في قلب الكل وقيل المراد الكفار من اهل مكة
والالف واللام للمعهود السابق ويدل لهذا قول ابن عباس اراد بالقارعة السرايا
التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها اليهم او تحل قريبا اي تنزل نزولا ثابتا
تلك القارعة من دارهم اي قريبا من ارضهم وقيل معناه او تحل انت يا محمد بجيشك
قريبا من دارهم بمكة كما حل بالحديبية حتى ياتي وعد الله اي بالنصر وظهور رسول
الله صلى الله عليه وسلم ودينه بفتح مكة او بالنصر على جميع الكفرة في زمن عيسى
عليه السلام فينقطع ذلك لانه لا يبقى على الارض كافر وقيل اراد بوعد الله يوم
القيمة لان الله يجمعهم فيه فيجازيهم باعمالهم ان الله لا يخلف الميعاد لامتناع
الكذب في كلامه تعالى ولما كان الكفار يسالون هذه الايات منه صلى الله عليه وسلم
على سبيل الاستهزا والسخرية وكان ذلك يشق عليه ويتاذى من تلك الكلمات
انزل الله تعالى تسلية له وتصبرا على سفاهة قومه ولقد استهزي برسل من قبلك
كما استهزي بك فامليت للذين كفروا اي اطلت المدة بتاخير العقوبة ثم اخذتهم
بالعقوبة فكيف كان عقاب اي هو واقع موقعه فكذلك افعل بمن استهزا بك
والاملا الامهال بان يترك مدة من الزمان في راحة وامن كالبهيمة يملى لها
في المرعى وهذا استفهام معناه التعجب وفي ضمنه وعيد شديد لهم وجواب
عن اقتراحهم الايات على رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الاستهزا
ثم انه تعالى اورد على المشركين مجرى الحجاج وما يكون توبيخا لهم وتعجيبا من
عقولهم فقال تعالى افمن هو قايم اي رقيب على كل نفس بما كسبت اي عملت
من خير وشر وهو الله تعالى القادر على كل الممكنات العالم بجميع المعلومات من
الجزييات والكليات ولا بد لهذا الكلام من جواب فان قيل من موصولة صلتها
هو قايم والموصول مرفوع بالابتدا وخبره محذوف تقديره كمن ليس بهذه الصفة

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1